الفصل الثالث

دور أدب المهجر في تطوير النثر العربي

١. مشاركة أدباء المهجر في فن القصة والرواية
٢. خصائص أدب المهجر الرئيسية
٣. تأثير أدب المهجر في العالم العربي وفي المهجر الجنوبي

١- مشاركة أدباء المهجر في فن القصة والرواية

إن الأدبـــاء العرب في أمريكا الشمالية كانوا يعملون على تحرير الفكر العربي مـــن مكـــامن الجمـــود والكتابات العربية من قيود التقليد في الموضوعات والأوزان والقـــوافي والبلاغة والجزالة اللفظية. فقد خدموا الأدب العربي الحديث خدمة كبيرة بـــتحررهم. ونفحوه بأبرز النفائس من إنتاجهم الأدبي وقفزوا بنهضة الأدب الحديثة قفزة عظيمة لم يعرف تاريخ الأدب العربي لها مثيلا في قوتها وحيويتها وشدة تأثيرها.[١] ولقد ألفوا في كل ناحية من نواحي الأدب وفي كل فن من أنواع الفنون الأدبية مثل الشـــعر والنـــثر والنقد والمقالة والسيرة والأقصوصة والرواية وما إلى ذلك. فكانت أقاصيصهم وروايتهم من أبرز ما عرفه الأدب العربي في فن القصة.[٢] وقد نهج معظمهم في كـــتاباتهم النهج الفلسفي. والذي ابتكر كتابة القصة منهم جبران خليل جبران ثم تـــبعه أمين الريحاني وميخائيل نعيمة ونسيب عريضة وعبد المسيح حداد ولعل آثارهم القصصـــية كانـــت عاملاً كبير الأهمية في تطوير فن القصة والرواية في الأدب العربي الحديث.[٣]

لقـــد عنى جبران بالرواية والأقصوصة في أدب المهجر وألّف قصتيه "الأجنحة المتكســـرة" الـــتي ظهرت في نيويورك عام ١٩١٢و "العاصفة" التي نشرت في مجموعة الرابطة القلمية عام ١٩٢١ فهما تعتبران النموذج الفني الأول للقصة العربية. كما أنه

---

[١] الدكتور عيسى الناعوري: أدب المهجر، ص١٤٠

[٢] أحمد قبش: تاريخ الشعر العربي الحديث، ص٢٨٣

[٣] الناعوري: أدب المهجر، ص١٤٠

كتب أقصوصة بعنوان "عرائس المروج" التي صدرت في نيويورك عام ١٩٠٦ وأقصوصة "الأرواح المتمردة" التي ظهرت عام ١٩٠٨م. وهذه الأقصوصتان تضعان النموذج الأول للأقصوصة العربية الفنية. وكذلك ألّف ميخائيل نعيمة مسرحية بعنوان "الأباء والبنون" التي ظهرت عام ١٩١٨ في نيويورك على خشبة المسرح تعتبر مقدمة لطليعة الفن المسرحي وبينما كانت جهود نعيمة موجهة نحو المسرحية والأقصوصة. وكان أمين الريحاني يعنى بالمسرحية والرواية بالعربية والإنكليزية. ولقد نجح في تقديم قصتين عربيتين، "زنبقة الغور" و"خارج الحريم". كذلك كتب تاريخ حياته بالإنكليزية في "كتاب خالد" على نمط قصصي. ووضع مسرحيته باسم "وجدة" بالإنكليزية. وهكذا نجح أدباء المهجر الشمالي في تقديم أروع ما في الأدب الحديث من القصص والمسرحيات والأقاصيص. كما يقول الدكتور إسماعيل أدهم، ناقد بارز في أدب المهجر:

> لقد عنى جبران بالقصة والأقصوصة في أدبه؛ وللمرة الأولى في تاريخ العربية نقف على قصص وأقصوصات فنية. ومن الأهمية بمكان أن نقول إن قصة "الأجنحة المتكسرة" التي ظهرت عن نيويورك عام ١٩١٢، وقصة "العاصفة" التي نشرت في المجموعة السنوية للرابطة القلمية عام ١٩٢١، تعتبران النموذج الفني الأول للقصة العربية، كما أن "عرائس المروج" التي ظهرت عن نيويورك عام ١٩٠٦، و"الأرواح المتمردة" التي ظهرت عام ١٩٠٨، بما تحتويانه من الأقاصيص، تضعان النموذج الأولى للأقصوصة العربية الفنية... وفي نفس الوقت الذي كان فيه جبران يفرض أدبه المتحدث على العربية، كان زميله في الرابطة القلمية ميخائيل نعيمة يعالج فن التمثيل بكتابة مسرحية عربية. وفي عام ١٩١٧ أخرج

مسـرحية "الأبـاء والبنون". وفي هذه المسرحية نجح ميخائيل في حل مشكلة اللغة المسرحية، بأن جعل الشخصيات المتعلمة تتكلم الفصحى، وغـير المتعلمة تتكلم العربية الدارجة. وهذه المسرحية التي ظهرت عام ١٩١٨ في نـيويورك عـلى خشـبة المسرح تعتبر مقدمة لطلية الفن المسـرحي... وبيـنما كانـت جهـود نعيمة موجهة نحو المسرحية والأقصوصة، كان أمين فارس الريحاني يعنى بالمسرحية والقصة في اللغتين العربـية والإنكلـيزية. ولقد نجح أمين في تقديم قصتين عربيتين "زنبقة الغـور"، و"خـارج الحـريم" قبل الحرب، كما كتب تاريخ حياته في الإنكليزية في "كتاب خالد" على نمط قصصي، ووضع مسرحية "وجدة" بالإنكليزية...، ويمكننا أن نلخص القول في مدرسة المهجر بأنها كانت أول مدرسة قوية في الأدب العربي، نجحت في تقديم أروع ما في الأدب الحديث من القصص والمسرحيات والأقاصيص.[1]

وهـذه الشهادة من ناقد كالدكتور إسماعيل أدهم لها قيمتها الكبيرة في تقرير هذا الواقع الأدبي التاريخي. لما كان يمتاز به الدكتورأدهم في النقد من العمق والتدقيق العلمي الصحيح.

وبالاضافة إلى هذه الأقاصيص والروايات بأقلام جبران والريحاني ونعيمة. وقد ألـف جبران عدداً من الأقاصيص الأخرى التي جمعت في كتابه بعنوان "العواصف" وهـي: "الشـيطان" و "السـم في الدسـم" و"ما وراء الردا"و "الشاعر البعلبكي" و"البنفسجية الطموح" وهذه الأخيرة أقصوصة رمزية.[2]

---

[1] نقلا عن: الناعوري، أدب المهجر، ص١٤٠ وما بعدها وأنظر: اسماعيل أدهم، توفيق الحكيم.

[2] الناعوري: أدب المهجر، ص١٤١ وما بعدها

وكـــان لجـــبران مسرحية قصيرة بعنوان "الصلبان" في كتابه "العواصف" وقد ذكر لـــه نعيمة في كتابه "جبران خليل جبران" مسرحية أخرى قصيرة بعنوان "ملك الـــبلاد وراعـــى الغنم". ولـــه في مجموعته "البدائع والطرائف" مسرحية ثالثة قصيرة بعنوان "إرم ذات العماد".[1]

وكذلك كتب ميخائيل نعيمة في القصة والمسرحية في أمريكا وبعد عودته إلى لبـــنان ظـــل يكتب بنفس الروح التي كانت تملى عليه من قبل. وقد أنتج عدداً من الأقاصـــيص المتفرقة كما أنتج رواية كبيرة بعنوان "لقاء" التي ظهرت عام ١٩٤٦م. والتي تجمع بين الخيال الأسطوري والأسلوب الواقعي الاجتماعي. فالخيال الأسطوري هو عقيدة "تناسخ الأرواح" التي تدور على هذه الرواية كلها. وكان جبران أول من اعتقد بهذه العقيدة وعبرها في كتاباته بوضوح ثم تأثر نعيمة بها. فظهرت في كتاباتهما مظهـــر العقيدة الراسخة واقترنت لديهما بعقيدة "وحدانية الوجود" وكانتا معاً أهم عنصـــرين في فلســـفتهما وأدبهما.[2] والأقاصيص الأخرى التي كتبها نعيمة أغلبها في المهجـــر ثم زاد عليها في لبنان وطبعها فيها باسم "مذكرات الأرقش". وأما أقاصيصه الأخرى فقد أصدر نعيمة في لبنان ومنها مجموعة قصصه الأولى بعنوان "كان ما كان" فهي تحتوى على ست أقاصيص كان قد نشر بعضها في المهجر الأمريكي وبعضها في لبـــنان. وأمـــا بقية أقاصيصه فمبعثرة في كتبه الأخرى مثل: "صوت العالم" و"النور والديجور" وغيرها من مؤلفاته الأخيرة وبعضها متفرقا في الصحف.[3]

ونســـتطيع أن نقول إن نعيمة في الأقاصيص القليلة التي كتبها أثناء إقامته في

---

[1] نفس المصدر، ص١٤٢

[2] نفس المصدر، ص١٥٠

[3] نفس المصدر، ص١٤٢

المهجر الأمريكي قد وفق أكثر من جبران والريحاني في إبداع الأقصوصة الفنية، فينما كانـــت تغلب على أقاصيصهما ورواياتهما المواقف الخطابية والإنشائية التي تفسد جو القصـــة الفني، كانت أقاصيص نعيمة تمضى بسهولة واقعية وبأسلوب فني منسجم.[1] تدلنا على ذلك الأقصوصة التي نشرها في مجموعة الرابطة القلمية سنة ١٩٢١ بعنوان "العاقـــر" ومثلها "مذكرات الأرقش" المنشورة أيضاً في المجموعة نفسها. أما "العاقر" فقد أعاد نشرها في القصصية بعنوان "كان ما كان" التي تحتوى على خمس أقاصيص أخـــرى هـــي ("ســـاعة الكوكـــو" و"ســـنتها الجديدة" "الذخيرة" "سعادة البيك" و"شورتي").

وإن أمـــين الـــريحانى بالإضـــافة إلى أقاصيصه "زنبقة الغور" و"خارج الحريم" و"كـــتاب خالد" و"وجدة". وكتب أقصوصة بعنوان "المكارى والكاهن" فهي ثورة تهكمـــيه عـــلى رجال الدين ومسرحية بعنوان "وفاء الزمان" ورواية بالإنكليزية و لم يطبعها. وله مجموعة أخرى من الأقاصيص الإجتماعية ومسرحية صدرت في سلسلة "إقراء" بعنوان "سجل التوبة" وأسلوب الريحاني هو أسلوب جبران عينه في "أقاصيصه" اذ تكثر فيه المواقف الخطابية وتضعف قوة الحبكة الفنية من جراء ذلك.[2]

وقـــد ســـاهم في فن القصة أديبان آخران في المهجر الشمالي هما عبد المسيح حـــداد ونسيب عريضة. وقد نشر عبد المسيح حداد مجموعة كبيرة من الأقاصيص في كـــتابه بعـــنوان "حكايات المهجر"[3] التي صدرت عام ١٩٣١م. صوّر فيها أشكالا

---

[1] نفس المصدر، ص١٤٢

[2] نفس الصدر، ص١٤٧

[3] وهذه لم تكن على شيء من الفن القصصى كما دعاها نفسه "حكايات" فقط وهي ذات خط غير قليل خفة الروح.

وأوضاعاً شيء لحياة المهاجرين العرب الإجتماعية في أميركا، فيها المضحك والمبكى والمثير والمسلى ويقول عبد المسيح حداد في مقدمة هذا الكتاب:

> لقد ظل هذا الفكر يراودني حتى كتبت أول قصة "عبد الفطرة" لخاطرة خطرت ببالى أملأ بها بعض فسحة من صفحات "السائح"، و لم أدر إلا وأنـــا مدفوع من نفسي في ذلك الميدان... ثم شعرت بيد لطيفة ممسكة بيدى؛ تلك كانت يد عميد الرابطة القلمية جبران خليل جبران، وسمعته يقـــول: "أريـــد أن أقرأ لك قصة من هذا النوع في كل عدد من أعداد السائح، ولا عذر لك عن عدم القيام بذلك العمل.[1]

وكـــان نســـيب عريضة، الشاعر التأملي في المهجر، وله مشاركة في الأدب القصصى. وقد نشر لـــه في مجموعة الرابطة القلمية قصتان تاريختان هما: "ديك الجن الحمصى" و"قصة الصمصامة" ووفّق فيهما توفيقا كبيراً.

ويجـــدر بالذكر هنا أن جبران خليل جبران، باعث النهضة الأدبية في المهجر وزعـــيم المهجريين، قد ألّف في الأقصوصة والرواية معًا وعالج فيها كثيراً من نواحي الحـــياة الشرقية والمجتمع الإنساني بفلسفته الثائرة على التقاليد الإجتماعية والشريعية ولذلـــك نجد أبطاله كلهم ثائرين متمردين إلى أبعد حدود الثورة على شرائع البشر وعـــلى الحكام ورجال الدين بشكل خاص، ثم على تقاليد المجتمع.[2] فلما بلغ جبران نضجه الأدبي والفني انصرف إلى معالجة النواحي الروحية. وتناولها بشيء من التلميح والرموز في كتاباته ورسومه على السواء. وليس لجبران رواية طويلة سوى "الأجنحة المتكسرة" ومعظم قصصه الأخرى صغيرة.

---

[1] نقلا عن: الناعوري، أدب المهجر، ص١٤٣

[2] نفس المصدر، ص١٤٥

وكتاب جبران باسم "عرائس المروج" يحتوى على ثلاث أقاصيص هي: "رماد الأجيال والنار الخالدة" و"مرتا البانية" و"يوحنا المجنون". أما الأقصوصة "رماد الأجيال والـــنار الخالدة" فقد تدور حول عقيدة "تناسخ الأرواح" فهذه العقيدة تأثر بها زميله نعيمة هو الأخير واتخذها موضوعاً لروايته الفنية تحت عنوان "لقاء".[1]

أمـــا "مرتا البانية" فهي أقصوصة إنسانية مؤثرة تدور على لؤم بعض الأغنياء الذين يفترسون أعراض البريئات ثم يتخلون عنهن ليفترسهن من بعدهم عذاب العمر. وقـــد صـــبّ فـــيها جبران نيران غضبه على هذه النذالة النفسية على ظلم الشرائع البشـــرية. وأما "يوحنا المجنون" فهي إحدى ثورات جبران العنيفة على رجال الدين، ومثـــلها "خلـــيل الكافر" أيضاً في كتابه الآخر بعنوان "الأرواح المتمردة" واقاصيص أخـــرى كـــثيرة غيرها.[2] وأما الأقاصيص الثلاث الباقية في هذا الكتاب هي: "وردة الهاني" و"مضجع العروس" و"صراخ القبور" سنتحدث تفصيلا في الفصل الرابع.

أما "الأجنحة المتكسرة فهي رواية فيها حرارة وفورة شديدتان، لأنها تعبر عن حب وحقد شديدين، وفيه كثير من نقمة جبران على رجال الدين وذلك نقمة على ظـــلم البشـــر وجهالتهم. والذي يطالعها يرى جبران الفنان يرسم بالألفاظ، وجبران الأديب الشاعر يبتدع المعاني الجميلة جبران المحب للإنسانية وللمجتمع البشرى يعمل على هدم الكثير مما يعوق تقدمهما ويبعدهما عن الراحة والسعادة والحرية. ومن أبرز مزايا هذه القصة الوصف البارع المؤثر والعبارة الرقيقة.[3]

ومـــن أهم أقاصيص التي جمعها جبران في كتابه "العواصف" فهي "العاصفة"

---

[1] نفس المصدر، ص١٤٥

[2] نفس المصدر، ص١٤٥

[3] نفس المصدر، ص١٤٦

وبطـــلها يوسف الفخري شاب في الثلاثين من عمره، هجر الدنيا وعاش في صومعة مـــنفردة صامتاً بعيداً عن الناس، لأنه أراد أن يحرر نفسه من العبوديات التي يخضع لها الـــناس في حـــياتهم اليومـــية وهي: عبودية الحياة وعبودية الماضي وعبودية التعاليم والعـــادات والأزياء والعبودية للموتى. فهو لا يرى في حياة الناس الا العبودية والرياء والنفاق.

ومن أقوى هذه الأقاصيص أيضاً قصة "السم في الدسم" وبطلها فارس الرحّال وسنتحدث عنها في الفصل الرابع من هذا الدراسة.

ونذكـــر هنا بعض آراء النقاد على قصص جبران هذه. ويرى السيد م نهمد (H.M. Nahmad) الـــذي درس كتـــب جـــبران القصصية دراسة نقدية وترجمها إلى الإنكلـــيزية فيقول: "يبدو جبران في أقاصيصه أشبه بالوعاظ القدامى يكسو مواعظه بالأمـــثال".[1] وكمـــا علـــق علـــيها أحد النقاد الغربيين قائلا: "أنها حكايات رمزية شعرية".[2] ويرى الناقد العربي صلاح لبكى فيقول "أنها قصائد طويلة أو قصائد قصيرة ليس غيرها".[3] و لم يجد الدكتور يوسف نجم في قصص جبران أية ميزة ما خلا أسلوبها الشـــعري ونمط تفكيرها.[4] وكذلك يرى الدكتور سهيل إدريس فيقول: "أنها قصص نسجت محاكاة للرومانطيقين."[5] وهؤلاء النقاد جميعا تنبهوا إلى غرض جبران التعليمي مـــن كتابة قصصه. غير أن التعليم لا يكفى أن يجعلها حكايات رمزية إلا أمكننا أن ندعوهـــا حكايات رمزية بالغة الطوال. هذه القصص على ما يقترح الدكتور سهيل

---

[1] جبران: مقدمة الأرواح المتمردة، المترجم بنهمد، ص١٠ وما بعدها

[2] الدكتور خليل حاوي: جبران، ص٢٤٩

[3] صلاح لبكى: لبنان الشاعر، ص٩٩

[4] الدكتور يوسف نجم: القصة في الأدب العربي، ص٢٦٥

[5] سهيل إدريس: روّاد، القصة في لبنان، مجلة الآداب اللبنانية، مج ٥، العدد٣، آذار ١٩٢٧، ص٩

إدريس يجد أن تنسب إلى القصة أو الرواية الرومانتيكية.

وخلاصة القول، إن أدباء المهجر الشمالي ساهموا كثيراً في تطوير الأدب القصصي والروائي. فزعيمهم جبران كتب عدداً وافراً في فن القصة مثل: "الأرواح المتمردة" الذي يحتوى على أربع أقاصيص فهي ("خليل الكافر" و"وردة الهانى" و"مضعج العروس" وصراخ القبور") و"عرائس المروج" الذي يحتوى على ثلاث أقاصيص فهي: ("رماد الأجيال والنار الخالدة" و"مرتا البانية" و"يوحنان المجنون") ورواية "الأجنحة المتكسرة" وهي أشهر أقاصيص جبران وأقربها إلى نفسه. وفهي حكاية حبه الأول في لبنان بفتاة احبها حبا شديداً وبطلها سلمى كرامة. فهذه القصة سيرته الذاتية. وكتابه "العواصف" الذي يستمل عده قصص فهي: ("العاصفة" و"الشيطان" والسم في الدسم" و"ما وراء الرداء" و"الشاعر البعلبكى" و"البنفسجية الطموح") وله مسرحية قصيرة باسم "الصلبان" ومجموعته "البدائع والطرائف" تحتوى على مسرحية قصيرة "ارم ذات العماد" ومسرحية أخرى هي: "ملك البلاد راعي الغنم". ويعتبر بعض النقاد أن كتابه "الأرواح المتمردة" نموذجاً أولا للأقصوصة العربية الفنية كما يعتبر كتابه "الأجنحة المتكسرة" نموذجاً أولا للرواية العربية الفنية. وكذلك ألف الريحاني عدداً من الرواية والمسرحيات فمن رواياته "خارج الحريم و"زنبقة الغور" و"كتاب خالد" ومن مسرحياته: ("وفاء الزمان" و"وجدة" و"كريمة" "سجل التوبة") ميخائيل نعيمة فقد أنتج عدداً من الأقاصيص والرواية والمسرحية ومنها: "كان ماكان" ويحتوى على خمس أقاصيص فهي: ("ساعة الكوكو" و"سنتها الجديدة" و"الذخيرة" و"سعادة البيك" و"شورتى") و"مذكرات الأرقش" "صوت العالم" و"النور الديجور" و"العاقر" ومسرحية "الأباء والبنون" وروايته "لقاء" وكذلك كتب عبد المسيح حداد مجموعة كبيرة من الأقاصيص باسم "حكايات المهجر"

وكتب نسيب عريضة قصتين هما "ديك الجن الحمصى" و"الصمصامة".

وكـــان لهؤلاء أدباء في المهجر الشمالي مشاركة عظيمة في الإنتاج القصصي والـــروائي. وكـــتاباتهم القصصية قد لعبت دوراً هاماً في تطور فن القصة في الأدب العربي الحديث هكذا قد وفق أدب المهجر الشمالي إلى تقديم أبرز ما في الأدب العربي الحديث من الأقاصيص والروايات والمسرحية.

٢- خصائص أدب المهجر الرئيسية

خضـــع الأدب العربي في أمريكا خاصة في الولايات المتحدة تطورات واسعة بكـــتابات وحركات أدباء المهجر الأدبية والفنية مثل جبران خليل جبران وميخائيل نعمـــية وإيليا أبو ماضي وغيرهم. فشعراء المهجر الشمالي نظموا وأبدعوا في كتاباتهم إبداعـــاً بالغـــاً. وقـــد نهجـــوا أغلبهم في انتاجهم الأدبي النهج الفلسفي والروحي والإنســـاني.[١] وكتـــبوا في أكـــثر الفنون الأدبية في النثر والرواية والمسرحية والسيرة والأقصوصة والنقد عامة وفي الشعر خاصة. فأبدع أمين الريحاني وجبران الشعر المنثور أو الشعر الحر في الأدب العربي الحديث. وكانت مؤلفات معظمهم لها أهمية بالغة في حـــركة النهضـــة الأدبية الحديثة وفي تطور الأدب العربي الحديث لكن الأدب العربي قبـــلهم مـــا يزال يزحف زحفا إلى حد بعيد.[٢] ووصل الكثير من انتاج أدباء المهجر الشمالي إلى مستوى أرقى الآداب العالمية.

وأبـــرز المزايا التي امتازت بها أدب المهجر هي تسع مزايا كبرى ومنها اثنتان مـــتعلقة بالشـــكل هما: التحرّر من قيود القديم والأسلوب الفني والسبع الباقية مهتمة بالموضوع وهي: (١) الحنين إلى الوطن (٢) التأمل (٣) النـــزعة الإنسانية (٤) حب الطبيعة والحياة (٥) البساطة في التعبير والرقة الغنائية (٦) الحرية الدينية (٧) الوصف والتصوير.[٣]

---

[١] احمد قبّش: تاريخ الشعر العربي الحديث، ص٣٥٥

[٢] عيسى الناعوري: ادب المهجر، ص٦٩

[٣] نفس المصدر، ص٦٩

فلنناقش خصائص أدب المهجر البارزة هذه واحدًا فواحد بالتفصيل:

١- التحرّر من قيود القديم:

كان الأدب العربي قبل نشأة أدب المهجر أو المدرسة المهجرية في أمريكا يسير على أسلوب من الأساليب القديمة يهتمّ بالألفاظ أكثر من المعاني والأفكار أي بكثرة الألفاظ النادرة والصيغ والتعابير القديمة[1] والفصاحة والبلاغة. وكان الأدباء والشعراء في العالم العربي يُقلّدون القدماء في الموضوعات شعرا ونثراً.

وفي نفس الوقت تطور أدب المهجر في أمريكا الشمالية والجنوبية بخصائصه الجديدة وعناصره الحية وحركاته الجريئة متحديا على تقاليد من الأدب العربي في الشرق الذي لم تصلح للحياة ولمسايرة العصر. هذه الحركات الأدبية في المهجر الشمالي لحررت أدب المهجر من عبودية التقليد وقواعد اللغة والجمود وجعلته مواكب الحياة وسمد منها معانيه وأفكاره. كما يقول الدكتور عيسى الناعورى في هذا الصدد:

> فلما ظهرت المدرسة المهجرية بخصائصها الجديدة وعناصرها الحية، وثورتها الجريئة على كل قديم لا يصلح للحياة ولمسايرة العصر، تطلعت إليها الأبصار دهشة، فرأت فئة من ذوى الأقلام الفتية الخلافة قد تحررت من عبودية التقليد، ونفضت عنها مذلة الجمود على اصطلاح عليه الأقدمون من أساليب وتعابير، وحررت إنتاجها الأدبي من قيود الألفاظ، وجعلته يسير في موكب الحياة كما تسير الحياة نفسها: قوياً جديداً دافقاً، يستمد من الحياة، ويتسع للتعبير عن الحياة بألفاظ الحياة نفسها:

---

[1] الدكتور عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٧٠

الحياة المتجددة المتطورة دائماً.[1]

كـــان الأدب المهجري لاسيما أدب الرابطة القلمية في الشمال، يشق طريقه بـــانطلاق وجرأة وكان أبرز أعضائها جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضـــي ونسيب عريضة. وحمل الأدب المهجري كنوزاً فكرية واسعة وعاطفة إنسانية وطرب رنينه الموسيقى وشدّ جديده العقول بحيوية دافعة. ولوّن من الأدب القوى من النفوس على نحو لم يألفه الأدباء والشعراء في الشرق العربي.[2]

وحـــرّر المهجـــريون الأدب العربي بكتاباتهم المتحررة من كل التقاليد التي لم تناســـب للحـــياة الجديدة في العصر الحاضر. فإنهم كانوا مطلقين أنفسهم من القديم الـــذي لم يعـــبّدهم والجديـــد لم يستهويهم. فهم كتبوا الأعمال الأدبية التي شعروا بصلاحيتها للحياة. وهذا التحرر في الأدب المهجري جعل المهجريين الشماليين خاصة يـــتركون القواعـــد الأدبية التي وضعها الأقدمون في العالم العربي ويبدعون في الخلق والـــتجديد والإبتكار: خلق وتجديد وإبتكار في الشعر وخلق وتجديد وابتكار في النثر من قصة ومقالة ونقد ووصف وتحليل وما إليها. وهكذا كانت مؤلفات جبران خليل جـــبران باهـــرة مبدعة لم يعرف لها الشرق العربي مثلا في ما سبق.[3] وكان "الغربال" لميخائيل نعيمة دستوراً أدبياً ونقديا لم يألفه الأدباء الشرقيون في العالم العربي. وكانت "الجداول" لإيليا أبي ماضى تحمل في مواضيعها ألحانا ومعانى رفعت بالأرواح بعذوبة ولطف لم يعرفها الشرقيون في الشعر العربي.[4] فخلاصة القول كانت المدرسة المهجرية

---

[1] الدكتور عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٧٠

[2] أحمد قبش: تاريخ الشعر العربي الحديث، ص٣٥٥

[3] الدكتور عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٧٢

[4] نفس المصدر، ص٧٣

المستحررة جديدة وغربية لهم يألفها الشرقيون المحافظون. فكان أدب المهجر خلاصة العناصر القوية الحية في روحانية الشرق العربي مسكوبة في أحدث شكل وأروعه من رومانتيكية الغرب العصرية. وقد وفّق معظم أدباء المهجر وخاصة في أمريكا الشمالية بين روحانية الشرق العربي ورومانتيكية العالم الغربي. وقد وفق أدباء المهجر بينهما بطريقة سامرة فقد نشأ منهما أدب المهجر الذي جدّد حياة الأدب العربي وساعد أكبر مساعدة على نهضة الأدب العربي الحديث وتطوره. وترك في الأدب العربي الحديث أعظم الآثار من الشعر والنثر والأقصوصة والرواية والنقد كما سبق ذكرها.[1]

٢- الأسلوب الفني والطابع الشخصي

وهما من أبرز المميزات التي تميزت بهما أدباء المهجر المشهورين مثل جبران و نعيمة ونسيب عريضة وأبو ماضي وغيرهم. فكان لكل منهم طابعاً خاصا يمتاز بسهولة عن طوابع الآخرين. وعبّر الأدب المهجري عن شخصية صاحبه لكى يظهر فيه شخصية الأديب قوية بارزة.[2] كما حدث الدكتور عيسى الناعورى عن الأهداف التي عملوا لها أدباء المهجر باستمرار وإخلاص لخلق أدب حر قوي قائلا:

> فأغلب أدباء المهجر يغترفون من مناهل واحدة، ويهدفون إلى غاية واحدة، أو غايات متقاربة. فهم يغترفون من داخلهم أولا، ويتأثرون بما يحيط بهم ثانيا، يشعرون بالطبيعة شعوراً عميقا، ويحنّون إلى أوطانهم حنيانا جامعاً، ويبحثون عن حقائق الحياة الكبرى بحثاً جاهداً، يفرحون ويتألمون، يشكّون ويهتدون،يحبون ويبغضون، يثورون ويسكنون.

---

[1] الدكتورعيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٧٢

[2] أحمد قبش: تاريخ الشعر العربي الحديث، ص٣٥٥

وبعبارة أخرى: يغترفون من معين الحياة الواسع مادة لأقلامهم. وأما هدفهم الذي يعملون له باستمرار وإخلاص، فهو خلق أدب حرّ قوى يعنى بالمعانى والأفكار الكبيرة، ولا يتقيد بالسفاسف والتفاهات التي تكبّل أجنحته القوية دون التحليق والسمو، وأذرعه دون أن تنفتح لاحتضان الحياة بأسرها.[1]

ولكن اشترك الأدباء المهجريون في ابتداع أدب حُرّ قويّ بالمعانى والأفكار وجهدوا إلى وصول الغاية الواحدة جهداً كاملاً. وقد تختلف شخصياتهم الأدبية بحيث يظهر كل منهم مستقلا عن الأدباء الآخرين بطابعه الخاص في التفكير والتعبير.

وكان جبران أساليب متنوعة وهو جبران الفنان الأصيل والقوي الشخصية في فنه والمتميز في طابعه الأدبى عن كل أديب آخر في الأدب العربي وخاصة في أدب المهجر لأن روحه الثائرة المتمردة على كل التقاليد والشرائع من أدبية وفنية ودينية وإجتماعية ارتبطت بالمحبة الوثقى بالإنسانية.[2] ولذلك نعدّ جبران ذا طابع أدبي خاص مع مختلف أساليبه الأدبية و الفنية الجميلة. وهذه الأساليب التي استحدثها في الأدب العربي الحديث وجعل الربط بينهما بجمال الألفاظ وبساطة التعبير وروعة الصور الخيالية الملونة. فثملا يقول جبران خليل جبران في روايته بعنوان "الأجنحة المتكسر":[3] "إن المرأة التي تمنحها الآلهة جمال النفس مشفوعاً بجمال الجسد، هي حقيقة ظاهرة نفهمها بالمحبة ونلمسها بالطهر، وعندما نحاول وصفها بالكلام تختفى عن بصائرنا

---

[1] الدكتور عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٧٣

[2] نفس المصدر، ص٧٥

[3] هي أول وأكبر الرواية لجبران خليل جبران وهي قصة جعل جبران نفسه بطلها وجعل بطلتها فتاة اسمها "سلمى كرامة". وقد تحابا حبّا شديداً. وفي هذه القصة نجد ثورة جبران على رجال الدين (الرهبان) والأتراك في لبنان.

وراء ضباب الحيرة والالتباس."[1]

إن أغلب المهجريين المبدعين لم يكونوا يهتمون بأن يجعلوا فرقاً بين لغة الشعر ولغة النثر، لأن لغتهم كانت على الدوام موشاة بألطف التعابير والصور والخيالات التي جعلت نثر أدباء المهجر الشماليين خاصة جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وغيرهما شعراً جميلاً ساحراً:[2] والشعر والنثر عندهما فن من فنون التعابير. وامتاز ميخائيل نعيمة بلغته البسيطة الجميلة الواضحة وتفكيره العاطفي مثلا قصيدته المشهور بعنوان "أخي" فيقول:

أخى! إن ضجّ بعدَ الحرب غربيٌّ بأعماله
وقدّس ذكر من ماتوا، وعظّم بطش أبطاله
فلا تهزج لمن سادوا، ولا تشمت بمن دانا
بل اركَعْ صامتاً مثلى، بقلب خاشع دام
لنبكى حظَّ موتانا [3]

٣- الحنين إلى الوطن

الحنين إلى الوطن كثير في الأدب العربي القديم والحديث. ولكن أبرز ما نجده بقوة وعنف وبرقة في شعر المهجر الأمريكي. فالعرب اللبنانيون والسوريون الذين نزحوا عن وطنهم الأصلي إلى أمريكا. فهم حملوا بين جنبيهم طموحاً وشوقاً وأعرضوا عن الفضاء والآمال وتركوا ورائهم دنيا تهدهدها البساطة والقناعة والروحانية واصطدمت روحانيتهم في المهجر بالخصوص في الولايات المتحدة

---

[1] نقلا عن: عيسى الناعورى، أدب المهجر، ص٧٥

[2] أحمد قِبّش: تاريخ العشر العربي الحديث، ص٣٥٥ وما بعدها

[3] عبد الغني حسن: الشعر العربي في المهجر، ص١٦٣

الأمريكية بالمادية الصارخة والحياة الآلية المزعجة التي لم توجد في الشرق العربي بذلك الوقـــت.[1] ويذكر ميخائيل نعيمة عن الحياة المادية في نيويورك فيقول: "كنت واحداً مـــن الملايين التي كتب لها أن نفتش عن "إبرة" السعادة في "جبال" القيد والأسعلت والحجر والحديد المعروفة باسم نيويورك."[2]

لقـــد ضرّم الاغتراب حنين أدباء المهجر في أمريكا. فجعلوا يحنّون إلى وطنهم الأصـــلي ويتمنون لـــه الحرية الكاملة وينشدونه حنينا مشبوبا ووجداً صادقا وعاطفة محتدمة وخيالا ساحراً. كما كتب الدكتور عيسى الناعورى عن حنين جبران وحلمه:

> وهـــذا جبران الذي نال من الشهرة في الغرب والشرق ما لم ينله أديب عـــربي آخر، ودرّت عليه شهرته في مؤلفاته ورسومه الأموال الكثيرة، ولكـــنه ظل طوال مدة هجرته يحلم بالعودة إلى لبنان، ليقضى أيامه في صومعة هادئة في دير مار سركيس هرباً من المدنية والضجيج.[3]

وكذلـــك أبرز لنا ميخائيل نعيمة صورة بارعة مؤثرة من حنين جبران خليل جبران في كتابه "جبران خليل جبران" ورد فيه عن حنين جبران في قوله:

> ميشـــا، ميشـــا! نجّـــانى الله وإياك من المدنية والمتمدنين، ومن أميركا والأميركـــيين! ونحن سننجو بإذن الله، وستعود إلى قمم لبنان الطاهرة، وسنأكل من عنبه وبقوله، نشرب من خمره وزيته، وسننام على بيادره، ونســـرح مع قطعانه ونسهر على شبابات رعاته، وخرير غدرانه... إن نفسى تطالبنى بعزقما، وفكرى يطالبنى بحريته وجسمى يطالبنى براحته...

---

[1] احمد قبّش: تاريخ الشعر العربي الحديث، ص٣٥٦

[2] نقلاً عن: عيسى الناعوري: أدب المهجر، ص٧٩

[3] عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٨٣

لكنت تجذبني من يدى في هذه الدقيقة وتقول: هيا بنا إليها! هي صومعة أصلية يا ميشا، لا تقليدية كصومعتي هذه.[1]

وكتاب "النبي" (The Prophet) لجبران خليل جبران يصور هو الآخر عن حنينه إلى الوطن الأصلي: فالمصطفى[2] الذي قضى في مدينة أورفليس اثنتى عشرة سنة يترقب عـــودة سفينة ليركبها عائداً إلى الجزيرة التي ولد فيها، هو نفسه جبران الذي عاش في مدينة نيويورك وفي قلبه حنين حارّ إلى قريته في لبنان التي ولد فيها.[3]

كذلك نجد الحنين إلى الوطن في شعر نسيب عريضة، شاعر الحيرة الأكبر بين المهجـــريين، فكـــان يحنّ نسيب عريضة إلى مدينته "حمص" فيناجيها في قصيدة "أم الحجار السود"[4] مخاطبا:

يا جارة العاصى لديك السؤدد لبنان دونك ساجد متعبد
عـــاشق من دمعه لك مـــورد وارحمتها لمتيم مصفـــود!
يسقى الهوى من قلبه الجلمود!

* * *

يا دهرُ! قد طال البعاد عن الوطن هل عودة ترجى وقد فات الظعن
عُدبى إلى حمس ولو حشو الكفن واهتف: أتيت بـــعاثر مـــردود
واجعلْ ضريحى من حجارٍ سودِ!

---

[1] Mikhail Naimy, Khalil Gibran: His life and works, Beirut, 1964, p. 181

[2] هو بطل "النبي" لجبران

[3] الناعورى: أدب المهجر، ص٧٩

[4] محمد عبد الغني حسن: الشعر العربي في المهجر، ص١٩٩ وما بعدها
راجع أيضاً: نسيب عريضه، "الأرواح الحائرة".

كذلك نجد الحنين عند إيليا أبي ماضي في قصيدته "الشاعر في السماء"[1] ففيها نـــرى نموذجـــا مـــن الاخفاق. وهذه القصيدة تدور في فكرتها العامة بحوار بين الله والشـــاعر نفســـه. عندما أراد الله أن يرفع من مقام الشاعر فردّه إلى السماء. فإذا به حـــزين مكتئب فعرض عليه أنواعاً من الآماني ليحققها لـــه فأبى كل شيء الا أمنية واحدة. فينشد إيليا أبو ماضي قائلاً:

فقلت: يا ربّ فصلُ صيف في أرض لبـــنان أو شتاء!
فـــإنني ههـــنا غريـــب ولـــيس في غـــربة هناء
فاستضحك الله من كلامي وقـــال: هذا هو الغباء !
لبـــنان أرض ككل أرضٍ وناســـه والورى سواء !
وفـــيه بؤســـى وفيه نعمى وأرديـــــاء وأتقـــــياء
فـــأي شـــيء تشتاق فيه؟ فقلت: ما سرن وساء![2]

وكذلـــك كـــان شعر ندرة حداد شعرا عذبا وأنغاما من الشوق والحنين نعد نموذجـــا رائعـــا لهذا النوع من الشعر في شعر المهجر بوجه عام. كما قالت الأستاذة نادرة جميل سرّاج في هذا الصدد:

> أنه (ندرة حداد) يتمثل مدينته المحبوبة (حمص في سوريا) بكل مناظرها وشـــتى مظاهـــر الأنس والبهجة فيها، وإنه ليتمنى على الله أمنية ليس تحقـــيقها عليه ببعيد، هي أن يرى بلاده العزيزة قبل مماته وأن تكون في تربـــتها مقـــبرة لـــه تحوى عظايه بعد الفناء ولكن، تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن. وفي أنغام عذبة من الشوق والزكريات يصور ندرة حداد

---

[1] أنظر: احسان عباس ومحمد يوسف نجم، الشعر العربي في المهجر ، ص١٢١

[2] نقلا عن: جميل سراج، شعراء الرابطة، ص٣٦٥

شـــاعر المغـــتربين جمـــيعا لا شعوره وحده فحب هو يترنم غربته بهذه الأشواق وينفس عن كربه بمثل هذه الآنات، حتى إذا جاء وافد أو جماعة مـــن الشرق، كان أول الملبين لدعوة الداعى إلى تكريمهم وإظهار الولاء والمحبة لهم، فهم يمثلون البلاد العزيزة والربوع الغالية، فيخاطبهم قائلاً:

'كانى نـــاظر وطنى أمامى فلا شكوى ولا شرق يدب.''[1]

٤ – التأمل

مـــيزة التأمل هي من أبرز الميزات التي تميز بها أدباء المهجر في أمريكا الشمالية وفي طليعـــتهم جـــبران خليل جبران وميخائيل نعيمة نسيب عريضة وإيليا أبو ماضي وسنناقش عنهم بالتفصيل في الفصول التالية إنشاء الله. وهذه ميزة تميز بها أدب المهجر الشـــمالي عـــن أدب المهجر الجنوبي باستثناء القليل[2] فحسب بل عن الأدب العربي الحديـــث والقديم[3] خاطبة يعلق الدكتور عيسى الناعورى عن تأملات المهجريين فهو يقول:

... كانوا (المهجريون) في تأملاتهم يتجردون من طبيعة الطين، ويسمون فـــوق الحياة وفوق البشر، ويحلّقون بأخيلتهم في عوالم مجهولة، يحللون الـــنفس الإنســـانية ويصورونها بدقة، ويحاولون إماطة اللثام عن أسرار الحـــياة، وأســـرار ما وراء الحياة... لذلك نستطيع أن نقول إن الأدب

---

[1] المصدر السابق: ص٣٦٧ وما بعدها.

[2] نجـــد الـــتأمل قليلا عند فوزى المعلوف من شعراء المهجر الجنوبي في مطولتيه "على بساط الريح" و"شعلة العزاب" هما مطولتان من أورع الشعر العربي الحديث وفي قصيدة الياس فرحات، من شعراء المهجر الجنوبي، "بين الطفولة والشباب".

[3] احمد قِبّش: تاريخ الشعر العربي الحديث، ص٣٥٦

العـــربي لم يعرف الأدب التأملي قط كما عرفه في أدب المهجر بشكل جديد رائع، فيه عمق رحابة وشمول، وفيه قوة وحيوية وجمال.[1]

وكذلك نجد إنفساح الآفاق النفسية وامتداد الخيال الجمود والتأملات في أدب المهجـــر فـــنجدها في أكثر مؤلفات جبران خليل جبران مثلاً "يسوع ابن الإنسان"، و"آلهة الأرض"، و"النبي"، و"المجنون" و"المواكب" و"العواصف" وغيرها. وكذلك في مؤلفـــات ميخائيل نعيمة مثلا "همس الجفون"، و"مرداد،، و"زاد المعاد"، و"المراحل" و"البيادر" وما إلى ذلك، وفي شعر إيليا أبي ماضي خاصة في قصيدته "الطلاسم" وفي شعر نسيب عريضة. وفي شعر أمين الريحاني في ديوانه "الريحانيات" وخاصةً في شعره المنثور الذي جمعه أخوه ألبرت الريحاني فيما بعد كتاب باسم "هتاف الأودية".

فديـــوان "الموكب" لجبران خيرمثال للتأمل الذي يشمل على المائتين والثلاثة قصيدة خلاصة فلسفة للحياة. وفيه يقول جبران في "العدل" على لسان الشيخ:

والعدلُ في الأرض يُبكى الجنّ لو سمعوا ... بـــه ويستضـــحك الأموات لو نظروا
فالســـجنُ والمـــوت للجانين إن صغروا ... والمجـــد والفخـــر والإثـــراء إن كبروا
فســـارق الزهـــر مذمـــومٌ ومحـــتقر ... وســـارق الحقـــل لهـــو الباسل الخطر
وقاتـــل الجســـم مقتول بـــفعلته ... وقـــاتل الـــروح لا تدرى به البشرُ[2]

أما ميخائيل نعيمة فشعره كله من النوع التأملي وكذلك أكثر نثره فيقول في قصيدته "الخير والشر"[3]:

ألـــيس أنـــا توأمـــان، اسْتوى ... ســـرّ البقا فينا وسرّ الهلاك؟

---

[1] الدكتور عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٨٩

[2] نقلا عن: الناعورى، أدب المهجر، ص٩١ راجع أيضاً: جبران خليل جبران، "المواكب"

[3] ميخائيل نعيمة: همس الجفون، ص٤٢

ألم نصـــغ مـــن جوهر واحد؟ إن ينسى الناس أتنسى أخاك؟

فأطـــرق ابـــن النور مسترجعاً في نفســـه ذكرى زمان قديم

واغرورقـــت عيـــناه لما انحنى مســـتغفراً وعانق ابن الجحيم

وقال: أي بل ألف أي يا أخي؟ مـــن نارك الحرى أتانى النعيم

وحـــلّق الاثنـــان جنبا إلـــى جنب، وضاعا بين وشى السديم

وأمـــا شعر إيليا أبي ماضي من النوع التأملي نجده في قصيدته "الطلاسم" التي مجموعـــة تأملات متطلعة إلى البحث عن الحقيقة يرسلها عقل كبير لا يقنع بالوقوف عند الظواهر والقشور. فيقول في هذه القصيدة المعروفة باسم "لست أدرى"[1]:

قد وجدتُ الياس والحيرة لكن لم اجدنى

فهل الجهل نعيم أم جحيم: لست أدرى

إننى جئتُ وأمضى وأنا لا أعلم

أنا لغز وذهابى كمجيئي طلسم

والذي أوجد هذا اللغز لغز مبهم

لا تجادل! ذو الحجا من قال إنى: لست أدرى

* * *

جئتُ لا أعلم من أين، ولكنى أتيتُ

ولقد أبصرت قدّامى طريقا، فمشيتُ

وسأبقى سائراً، إن شئتُ هذا أم أبيتُ

كيف جئتُ؟ كيف أبصرت طريقى؟ لست أدرى

وأما شعر نسيب عريضة، صاحب ديوان "الأرواح الحائرة" يشتمل على النوع

---

[1] عبد الغني حسن: الشعر العربي في المهجر، ص١٤٧ وما بعدها

التأملي فيقول في قصيدته "على الطريق"[1]:

لماذا وقفت بخوف وحيره

ايا نفس عند الطريق العسيره

ألا أمشى فإن الحياة قصيرة

ألا امشى.

.....

لماذا العتاب على ما انقضى

أ نرجع بالعتب عمرا مضى

شقينا ولكن شقانا الرضى

ألا أمشى

٥- النـــزعة الإنسانية

يمتاز أدب المهجر في أمريكا بنـــزعته التأملية وحنينه العميق إلى الوطن العربي العـــربي بـــتحرره من قواعد اللغة والعروض. وكذلك يمتاز بروحه الإنسانية. وإتسع أدب المهجر للحب المطلق لكل الوجود ولكل ما في الوجود ولرغبة الخير المطلقة لكل المخلوقـــات.[2] فكـــان المهاجـــرين يريدون أن يروا وطنهم العربي حرا وقادراً على الإشـــتراك الفعال في بناء صرح إنسانية حرة سعيدة. ولذلك تحوّل شعورهم الإنساني والوطـــني إلى انتقام صارم على من يذلّون[3] أنباء وطنهم العربي وعمل المهجريون على

---

[1] نسيب عريضة: الأرواح الحائرة، ص٦٠

[2] الدكتور عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٩٣

[3] هـــم حُكـــام الأتـــراك خاصـــة السلطان عبد الحميد وإبراهيم باشا بن محمد علي باشا ورجال الدين (الرهبانيون) وأصحاب الإقطاعيين في لبنان وغيرهم كما ذكرنا.

تحريـــر الشـــعوب الضعيفة في الشرق العربي من مظالم الأتراك واستبداد رجال الدين بكتاباتهم وعملوا وشجعوا أبناء الشرق العربي على استقلال بلادهم والحصول عليه.[1]

وأبرز دلائل هذه المحبة الإنسانية الكبيرة عند أعضاء الرابطة القلمية، وأجدرها بالذكر هو النداء الرقيق الحنون الذي أشاعوه المهجريون في أدبهم مثلاً: "يا أخى" و"يا رفـــيقى" وما إلى ذلك. "وهو نداء يلمس شغاف القلب فيحيله إلى شعلة من الحنان والمحـــبة، ويفعل فيه فعل السحر". هذا من النداء العاطفي الإنساني يشعره كل إنسان في العـــالم العـــربي بأنه أخ أو حبيب لنا في رابطة الإنسانية الكبرى.[2] ونجد النـــزعة الإنسانية في قصيدة إيليا أبى ماضي فيقول:

قـــال: "الســـماء كئيبة!" وتجهّما قلتُ: ابتسم يكفى التجهُّم في السماء!

قال: الصبِّا ولى! فقلت لـــه: ابتسم لـــن يُرجع الأسفُ الصِّبا المتصرِّما!

قـــال: اللـــيالى جرّعـــتنى علقمـــا قلـــتُ: ابتسم ولئن جرعتَ العلقما

فـــلعلّ غيـــرك إنْ رآك مـــرنّما طـــرح الكآبة جـــانبا وتـــرنّما[3]

ونجـــد الـــروح الإنسانية في شعر إيليا أبي ماضي كله وخاصة في "الجداول" و"الخمـــائل". وعـــند ميخائـــيل نعيمة في قصيدته الرائعة "أخي" التي مَلِئَتْ بالمعانى الإنسانية العميقة. فيقول فيها:

أخى! إن عاد يحرث أرضه الفلاح أو يزرع

ويبنى بعد طول الهجر كوخاً هدّه المدفع

فقد جفت سواقينا وهدّ الذل مأوانا

---

[1] الدكتور عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٩٤

[2] نفس المصدر، ص٩٤ وما بعدها

[3] زهير ميرزا، إيليا أبو ماضي: شاعر المهجر الأكبر، ص٦٧٥ وما بعدها

ولم يترك لنا الأعداء غرسا في أراضينا

سوى أجياف موتانا[1]

وأمـــا جـــبران خليل جبران كان مبلغا إلى شعوره الإنساني الحار في مؤلفاته الكثيرة خاصة في "النبي" و"دمعة وابتسامة"[2] فيقول في كتابه "دمعة وابتسامة":

أنـــت أخي، وكلانا ابن روح واحد قدوس كلي.. وأنت رفيقي على طريق الحياة، مسعفي في إدراك كنه الحقيقة المستمرة وراء الغيوم. أنت إنسان وقد أحببتك، وأحبك يا أخي. خدمني ما شئت، فلست بسالب غير مال لك الحق بقسم منه،... أنت أخي وأنا أحبك.[3]

وهكذا امتاز أدب المهجر باتساع المدى أي بالعمق والعلو وانفراج الأرجاء، كما يقول ميخائيل نعيمة في كتابه "الغربال"[4] في وصف ديوان نسيب عريضة. "وقد اتســـع أفق إنسانيتهم حتى شمل الوجود بأسره: بناسه، وحيوانه، وجماده، فهم يرون الجمال في كل شيء، حتى في 'الدودة'."

٦- حب الطبيعة

أدباء المهجر الأمريكيون جميعاً من أخلص أبناء الطبيعة وعُشّاقها. فهم عميقو الإحســـاس، وعمـــيقو الحـــب لها والإتصال بها؛ كما قال عيسى الناعوري في هذا الصـــدد: "يـــرون (أدبـــاء المهجر) في كل ما فيها أشياء حية: تحب وتكره، تسعد

---

[1] محمد عبد الغني حسن: الشعر العربي في المهجر، ص١٦٣

[2] هي مجموعة "الشعر المنثور" لجبران خليل جبران التي نشرت عام ١٩١٤. أنظر : مقدمة لميخائيل نعيمة في "المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران" ص١٩

[3] نقلا عن: الدكتور عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص٩٦

[4] انظر: ميخائيل نعيمة، الغربال

وتشقى، تفرج وتحزن، وترجو وتخيب. وهم لذلك يناجونها، ويستلهمونها، ويتمثلون بها، ويبثونها آمال قلوبهم والأمها، وأشواق نفوسهم وحيرتها."[1]

فمن يطلع على إنتاج أدباء المهجر يرى للطبيعة أو للغاب حظّا وافراً في اشتياقهم فهم يرون مثالية أعلى في حياتهم فمثلاً ديوان "المواكب" لجبران خليل جبران ذات المائتين والثلاثة الأبيات فيها مائة وخمسة وعشرون بيتاً تدور على الغاب وقدسية الغاب ووحدانية الغاب وسعادة الغاب. فيقول جبران خليل جبران على لسان الفتى القادم من الغاب:

هل تخذت الغاب مثلي منزلا دون القصور

فتتبعت السواقى، وتسلقتَ الصخور

هل جلستَ العصر مثلى، بين جفنك العنب

والعناقيد تدلت، كثريات الذهب

هل فرشت العشب ليلاً، وتلا تلحفتَ الفضا

زاهداً في ما سيأتى، ناسياً ما قد مضى[2]

فالطبيعة عند جبران خليل جبران رفيقة خياله وملهمته البارعة ونجدها في أقاصيصه وفي تأملاته وفي شذراته وهمسات قلبه وروحه ووجدانه التي جرت قلمه المبدع.

كما كان جبران خليل جبران شديد الإحساس بالطبيعة فيقول الدكتور شوقي ضيف في هذا السياق:

يطلب (جبران) إلى الناس أن يفروا من حياة المدن والمدنية إلى الغاب أو

---

[1] الدكتور عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٩٨

[2] نقلا عن: عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٩٥

إلى الطبـــيعة حيث البساطة وحيث لا سيادة ولا عبودية ولا عدل ولا ظلم ولا قوة ولا ضعف ولا ايمان ولا كفر ولا خير ولا شر، ويتطلع إلى المجهول الخالد ويرمز اليه بالموسيقى والغناء على الناي...[1]

وكذلك إيليا أبو ماضى من شعراء المهجر الشمالي هو الآخر كان لـــه اتصالا شديداً بالطبيعة وشغفا بها على الدوام التي "تتعرّى لـــه عن فنون جديدة من السحر الخلاب، وتغذى خياله بصنوف من الموسيقى والشعر والإلهام."[2] ولذلك يشعر قارئ بأنـــه يعيش في دنيا من الشموس والزهر والعطر والألحان. وفيقول إيليا أبو ماضي في قصيدته بعنوان "ابسمى":[3]

ابسمى كالورد في فجر الضياء وابسمى كالنجم إن جن المساء
واذا مـــا كفّـــن الثـــلج الثرى وإذا مـــا ســـتر الغيم السماء
وتعـــرى الـــروض من أزهاره وثوارى النور في كهف الشتاء
فاحـــلمى بالصيف ثم ابتسمى تخلقـــى حولك زهرا وشذاء!!
وإذا ســـرّ نفوســـا أنهـــا تحســـن الأخذ فسرّى بالعطاء
وإذا أعيـــاك أن تـــعطى الغنى فافـــرحى أنك تعطين الرجاء!

وذكر عيسى الناعورى في كتابه "أدب المهجر" عن حب الطبيعة للمهجريين الشـــماليين قائلاً:[4] "والحنين إلى الغاب هو التعبير الصادق عن رجاء السعادة في نفس كل إنسان. فالغاب عند المهجريين هو رمز البساطة والجمال.

---

[1] الدكتور شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر، ص١٨٢

[2] الدكتور عيسى الناعوري: أدب المهجر، ص٩٩

[3] إيليا أبو ماضى: الخمائل، ص٣٨

[4] عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص١٠٠

كما يقول نسيب عريضه عن الغاب: "كتاب مقدس، كلمتانه وتعاويذ تشفى من لذعات فلسفة الحياة" وذكره ميخائيل نعيمة قائلاً: "بأنه عنوان الحياة الشاملة... التي تعطم ذاتها من ذاتها: فلا موت الحمل عندها مأتم، ولا غذاء الذئب وليمة."[1]

وكذلـــك يهيم نسيب عريضة، شاعر الحيرة الأكبر في المهجر الشمالي، فيقول في إحدى قصائده:[2]

فصاحت النفس بي وقالت: مـــالى وللناس والزحام
أصـــبتِ يا نفسُ فابتعيني فليس كالغاب من مقام
يـــا غاب! جئناك للتعرى أنـــا ونفسى، ولا حرام
فليُذع الغصن مـــا يـــراه منا إذا أحسن الكلام!

فالإحســـاس العميق بالطبيعة الذي موجود في أدب المهجر وخاصة في معظم أعضاء الرابطة القلمية "جديد في طريقته، جديد في روحه؛ وجدّته تسمو بالروح إلى جواء من اللذة الصوفية، والنشوة الروحية، وتترك في النفس (قارئه) رنينا حالماً، يقطر بالعذوبة والغبطة، ويتعالى بالروح فوق أوهام العالم، وفوق قيود المادة."[3]

٧- البساطة في التعبير والرقة الغنائية

إذا كان الشعراء الكبار المبدعون في الشرق العربي كمحمود سامى البارودى، رائـــد الشعر العربي الحديث، وأمير الشعراء أحمد شوقى[4] وشاعر النيل حافظ إبراهيم[1]

---

[1] د. عيسى الناعوري: أدب المهجر، ص١٠٠

[2] في قصيدته رباعيات. أنظر إلى: عبد الغنى حسن، الشعر العربي في المهجر، ص١٩٢ وراجع أيضاً "الأرواح الحيرة"

[3] انظر إلى: عيسى الناعورى، أدب المهجر، ص١٠٢

[4] شوقي (١٨٦٨-١٩٣٢) هو من شعراء مصر في العالم العربي. ولد في القاهرة. درس الحقوق في فرنسا. ورحـــل إلى انكلترا والجزائر واسبانيا. لُقّب بأمير الشعراء لـــه ديوان "الشوقيات" وعدة مسرحيات أشهرها

فهـــم من شعراء الكلاسيكيين وخليل مطران،[2] شاعر القطرين والشاعر الرومانطيقي في لبـــنان، ومعـــروف الرصافي[3] غيرهم فازوا برضى القارئ في العالم العربي وإعجابه "عن طريق الجزالة اللفظية، والقوالب الشعرية العبّاسية، والقصائد الدالة على التمكن من العروض واللغة، وعلى طول النفس".[4] ففي نفس الوقت كان الكبار الممتازون من شـــعراء المهجر الشماليين مثل إيليا أبو ماضي وميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران ونســـيب عريضـــة وغيرهم "يتغنون من بعيد بشعر رقيق الألفاظ، لا أجراس فيه ولا طبول، سواء أطال فيه النفس أم قصر، وسواء أكان في مواضيع غنائية وجدانية، أم في مواضيع إجتماعية أو تاملية أو سواها."[5]

ولم يكـــن ذلـــك عن ضعفهم أو هربهم من تكاليف الشعر (nuisance). فقد إعتقد المهجريون "بأنّ الشعر فن الحياة، تكلُّفُ فيه ولا تقليد وأن الشاعر الذي يلبس ثـــياب غـــيره طاؤيا الأجيال بذلك إلى الوارء، لا يعطى الحياة السائرة إلى الأمام من نفســـه، ولا يعطـــيها من نفسها. وصحّ في مذهبهم أن البساطة والرقة الغنانية عماد الجمـــال في الشـــعر وفي الفـــنّ". ولذلك كان شعرهم وأغلب من نثرهم بسيطاً إلى

"مصرع كليوبترا".

[1] حافظ إبراهيم: (١٨٧٢-١٩٣٢) هو شاعر مصري من كبار الشعراء المعاصرين. لُقّب بشاعر النيل لـــه ديوان "وليالى سطح".

[2] خليل مطران: (١٨٧١-١٩٤٩): هو شاعر وأديب لبنانى. وُلد في بعلبك. هاجر إلى مصر. لُقّب "شاعر القطـــرين". كـــان راقى الخيال، وبديع التصوير قديراً على التدقيق في جزئيات المعانى. لـــه "ديوان الخليل" ومن قصائده المشهورة "النيرونية"، "الاسد الباكى"، "آثار بعلبك".

[3] معـــروف الرصافى (١٨٧٧-١٩٤٥): هو شاعر وأديب عراقى. كانت بينه وبين جميل صديق الزهاوى منمافسة ومهاجاة. واشتهر بديوانه وله "محاضرات في الأدب العربي. وعمل في التدريس معظم حياته.

[4] عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص١٠٤

[5] نفس المصدر، ص١٠٣ وما بعدها

صـــدور القراء في العالم العربي وفي أمريكا على السواء. فأخذ الناس في العالم العربي ينظرون إلى نثر ميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران وأمين الريحاني وغيرهم.

وإنطلـــق المهاجرون خاصة في أمريكا الشمالية من اعتبارات الجماهير والتقليد ومـــنحوا أنفسهم الحريّة من قواعد العروض واللغة التي كانت قليلةً في مؤلفات أدباء الشـــرق العـــربي وشعراءه في نثرهم وفي شعرهم على السواء.[1] ولذلك نجد في أدب المهجـــر شيئاً جديداً من الحريّة والبساطة في التعابير والرقة الغنائية كما قال إيليا أبو ماضي من شعراء المهجر الشمالي في قصيدته "الشاعر ":[2]

أيـــارُ، يا شاعر الشهور وبسمة الحبّ في الدهور
وخـــالق الزهر في الرّوابي وخـــالقَ العطر في الزهور
وغاسل الأفق والدّرارى والأرض، بالـــنور والعبير
أتيـــتَ فالكونُ مهرجان مـــن اللـــذاذات والحبور
أيقظت في الأنفس الأمانى والاتسامـــات في الثغور

فهذه الأبيات المقتطفة تجردت الشعر من الوزن الواحد والقافية الواحدة حيث جعلت الشعر غنائيا رقيقاً بجمال الخيال وبساطة التعبير والذوق المرهف الذي يعرف كيف يضع اللفظة الشاعرة المعبرة دون تكلف.

وكذلـــك كتـــب ميخائيل نعيمة، الشاعر والفيلسوف بين الشعراء المهجريين الـــذي اعتقد بالحياة والطبيعة قصيدته بعنوان "النهر المتجمد"[3] التي كانت مليئة برقة

---

[1] الدكتور عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص١٠٥

[2] زهير ميرزا، إيليا أبو ماضى: شاعر المهجر الأكبر، ص٧٩١

[3] كتب ميخائيل نعيمة هذه القصيدة أولا باللغة الروسية عندما كان طالباً في روسيا، ثم رجع فنظمها شعراً عربيّا عندما كان في أميركا- كما ذكر نعيمة في كتابه "سبعون"

غنائية وجمال في عبارتها وخيالاتها الملّونة بالكآبة الجميلة. فيقول:

يا نهر هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخرير؟

أم قد هرمت وخار غرمك فانثنيت عن المسير؟

* * *

بالأمس كنت تسير لا تخشى الموانع في الطريق

واليوم قد هبطت عليك سكينة اللحد العميق.

* * *

يـــا نهـــرا ذا قـــلبي أراه كـــما أراك مـــكبلا

والفرق أنك سوف تنشط من عقالك، وهو...لا[1]

وتحـــدَّث نيســـب عريضـــة (١٨٨٧-١٩٤٦)، شـــاعر الحيرة الأكبر بين المهاجرين، عن حيرة قلبه بالبساطة المعبرة. فيقول في قصيدته "مركب الفوائد":[2]

قلـــبي بـــلا شراع بطـــوفُ في البحار

قد قـــارب التداعي مـــن كثرة الأسفار

* * *

ســـفينة حقـــيره لـــيس لهـــا ربّانُ

في ظلمات الحيرة مـــنارُها الإيـــمان

* * *

يـــا صـــفاتُ هبّي وغـــرّقي الســـفين

في العمق يلقى قلبي مـــرفـــأه الأميـــن

---

[1] عبد الغني حسن: الشعر العربي في المهجر، ص١٦٠ وما بعدها

[2] انظر: ميخائيل نعيمة، الأرواح الحائرة.

٨- الحرية الدينية

الحرية الدينية هي الفكرة السائدة التي سيطرتْ على أدب المهجر. فكانت هذه الحـــرية في كـــل من المعتقدات الفكرية والمذهبية والإجتماعية، وفي التعبير وفي فنون البـــيان على السواء. والحرية الدينية عامل عظيم التأثير وركن من أهم الأركان التي جعلـــت الأدب المهجـــري يظفر بالتقدير والإعجاب ليس في المهجر فحسب بل في العالم العربي أيضاً. فالأدب المهجري ولاسيما في الشمال يحتّل مكانة بارزة في تاريخ الأدب العربي الحديث.[١]

ففـــي مؤلفـــات الأدبـــاء المهجريين نجد الحرية في التفكير والتعبير، والمناقشة والتفسير لشئون الدين، بعيداً عن روح التعصب والجمود، والتسليم الأعمى. لما جاء في كتـــب الديـــن من شروح وتفاسير. كذلك كان هو بعيداً عن المهاترات الطائفية والنـــزعات المذهبية.[٢]

أمـــا جـــبران خليل جبران وأمين الريحاني، أديبان ممتازان من المهجريين الشـــماليين، اللذان جهرا برأيهما الصريح في الدين ورجال الدين مع الإختلاف الكبير في المنحى الفكري. فقد كانا على رأي واحد في سذاجة المعتقدات الدينية الطائفـــية الـــتي أنشـــأت على أهل الوطن العربي. قد امتلأت بذلك مؤلفاتهما الكثيرة،[٣] حتى رُمي كلاهما بالإلحد وأحرق كتاب "الأرواح المتمردة" لجبران من

---

[١] أحمد قبش: تاريخ الشعر العربي الحديث، دار الجيل، بيروت ١٩٧٠، ص٣٥٧-٣٥٨

[٢] الدكتور عيسى الناعوري: أدب المهجر، ص١٠٧

[٣] مثلا كتب جبران خليل جبران: "الأجنحة المتكسرة" و"عرائس المروج"، و"الأرواح المتمردة" و"يسوع إبن الإنســـان" و"العواصـــف" وغيرهـــا. وكتب أمين الريحاني: "الريحانيات" و"المكارى" و"الكاهن" و"المحالفة الثلاثية" و"التطرف والإصلاح" وغيرها.

أجـــل ذلك في بيروت.[1] ووضعت كتب الريحاني وجبران في القائمة السوداء التي يحـــرم عـــلى الكاثولـــيك (Catholic) قـــراءتها، لمخالفتها لتعاليم رجال الدين وتفسيراتهم لروح الدين الكاثوليكي.

فيقول جبران خليل جبران في قصيدته بعنوان "المواكب"[2]:

والدين في الناس حقل لس يزرعه غـــيرُ الأولى لهمو في زرعه وطرُ
مـــن آمـــلٍ بنعـــيم الخلد مبتشر ومـــن جهول يخاف النار تستعرُ
فالقومُ لولا عقابُ البعث ما عبدوا ربًّا، ولولا الثوابُ المرتجى كفروا
كأنما الدين ضـــربٌ من متاجرهم إن واظبوا ربحوا أو أهملو خسروا
لـــيس في الغابات دين لا ولا الكفـــر القبيح
فـــإذا البلـــبلُ غـــنى لم يقلْ: هذا الصحيح
إن ديـــن الـــناس يأتى مـــثل ظـــل ويـــروح
لم يقم في الأرض دين بعـــد طـــه والمسيح

وكذلـــك نجـــد الحـــرية الدينـــية والفكـــرية في كتب أمين الريحاني مثلا في "الريحانـــيات" و"المكارى والكاهن" وغيرهما. وإنه قد اختلف عن جبران في أنه اتخذ مـــن هـــذه الحرية الدينية "وسيلة لتوحيد قلوب أمته — قبل كل شيء — على الوعى الوطـــني والقومـــي، وعدم استخدام الدين في التفرقة بين أبناء الوطن الواحد والأمة الواحـــدة".[3] فقـــد أراد الـــريحاني أن يكون لبلدان العرب وأبنائها جميعاً دين واحد يجمعهـــم. هو "الوطنية" أو "القومية" إلى جانب أديانهم السماوية ولهذه الغاية كرّسن

---

[1] Joseph P. Gugassian, "Khalil Gibran: Wings of Thought", Philosophical library, New York, p. 38

[2] نقلا عن: عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص١١٦

[3] نفس المصدر، ص١١٧

حياته وجهوده. فيقول:

كلـــنا نديـــن بديـــن التوحيد؛ كلنا نوحد الله ولا نرجع في النهاية إلى الســـواء، نحـــن أبناء الأديان التوحيدية؛ وما موسى وعيسى ومحمد غير رسل الإله الواحد، رسل التوحيد، فإذا كان إلهنا واحداً، ولساننا واحداً، وبلادنا في سهولها وجبالها وصحاريها واحدة، ومصائبنا السياسية كلها واحدة،...[1]

وأمـــا ميخائيل نعيمة فإنه دعا إلى تحرير الفكر من عبودية المذاهب، كما دعا إلى التسامى في الدين فوق الطائفيات والمذاهب. "فالإنسانية – لا الوطنية أو القومية- عـــنده وحدة لا تجزئة فيها ولا مذاهب ولا طوائف، وقد خرجت كلها منبع واحد، وتسير نحو واحد" فكتابه "المراحل" نجد فيه فلسفته الدينية المتحررة.[2]

وكذلـــك نجد الحرية الفكرية عند إيليا أبي ماضى التي "لا تؤمن بمذهب يقيم الحـــدود الفوارق بين الإنسان والإنسان، بل يدعو إلى التسامح، والتسامى في العقيدة ويدعو إلى التشبيه الطبيعة التي لا مذاهب فيها ولا طوائف. فيقول:

"فديني كدين الروض يعبق بالشذا ولو لم يكن فيه سوى اللصّ منسلاً
فكم هش لأنسام والنور والندى وآوى إليه الطيـــر والـــذّر والنملا"[3]

فهؤلاء المهجريون يؤمنون بالله، ويدعون إلى الإيمان به ولكنهم لا يرونه بعيون المعـــتقدات المذهبـــية التي نشأت في طفولتهم. فزي أن جبران ونعيمة والريحاني وأبا ماضـــى وغيرهم كان مذهبهم "التسامح الديني والحرّية الفكرية" فهم ينتمون اليهما

---

[1] نقلا عن: الدكتو عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص١١٦

[2] نف المصدر، ص١١٧

[3] نقلا عن: نفس المصدر، ص١١٨

ويدينون بهما.[1]

٩- الوصف والتصوير

لـــيس الوصف شيئاً جديداً في الأدب العربي، ولا في أدب أية لغةٍ من لغات العـــالم. فالوصف من "العناصر الأساسية التي يعتمد عليها الأدب،" للسمو بأسلوب الأدب ومادتـــه، ولتغذيته بعناصر التأثير والنفوذ إلى النفوس والمشاعر وصبغه بالصبغة الفنـــية وبالجمـــال. ولكـــن الوصـــف والتصوير في الأدب العربي كانا محدودان في موضوعات معينة كأوصاف الرياض والخمر ومجالس الطرب والأنس وبعض أوصاف الحروب ومزايا الممدوحين والمرثيين.[2]

وعندما نشأت المدرسة المهجرية اعتمدت إلى حدٍّ كبير على جمال التصوير في الشعر والنثر على السواء. ولكنها اعتمدت أيضاً على مدى كبير من "رُحابة الأفق الإنساني ودقة الإحساس بعدة نواحي الحياة والمجتمع" بين الفكر الموَّجه الحر والخيال الخصيب مع عمقٍ وحيوية. ولهذا أن المدرسة المهجرية تميّزت بذلك عن سائر العصور الماضية في الأدب العربي خاصة قبل القرن العشرين وصلتهما بالحياة والطبـــيعة وارتـــباطهما بالفن والجمال، ولتقدير القيم الأدبية والفنية الصالحية للحياة."[3]

وكذلـــك كان التصوير في الأدب العربي عاملاً عظيماً من عوامل الآداب التي أســـبغ عـــلى الأدب العربي أفانين من الرقة واللطف والجمال وترك في نفس القارئ أعمـــق الآثار. فالتصوير في أدب المهجر إحدى مزاياه الجميلة التي قدمت إليه ألوانا

---

[1] الدكتور عيسى الناعوري: أدب المهجر، ص١١٩

[2] المصدر المصدر، ص١٢٣

[3] نفس المصدر، ص١٢٤

عجاباً في مختلف صور الحياة.

والقطعة النثرية والقطع التصويرية عند جبران خليل جبران هي عماد أدبه وفنه عـــلى لســـان "الجمال" لأن التصوير هو ميّزته الكبرى ووصفَ جبران خليل جبران نفســـه فيقول: "أنا دليل الحب، أنا خمرة النفس، أنا مأكل القلب، أنا وردة أفتح قلبي عـــند فتّوة النهار، فتأخذني الصبية وتقبلني وتضعني على صدرها... أنا ابتسامة لطيفة على شفتي غادة: يراني الشاب فينسى أتعابه، وتصير حياته مسرع أحلام لذيذة... أنا نظرة في عين طفل، تراها الأم الحنونة فتسجد وتصلي وتمجد الله".[1]

وكذلك اشترك ميخائيل نعيمة مع جران خليل جبران في هذه المزايا التي سبق ذكـــرها، "فقلمه ريشة رسام قبل أن يكون مرقما لكتابة الألفاظ". وكتابه عن حياة جبران خليل جبران أكبر مثال لوصفه وتصويره وخاصة وصفه لمدينة نيويورك. فيقول في كتابه "البيادر": "ومن صخور السفوح ما عبّد به صنين الطريق التي يسلكها البحر عند عودته من زياراته العديدة لـــه..."[2]

ونجد الوصف في شعر إيليا أبي ماضي هو الآخر مثلا قصائده: "فلسفه الحياة"، "الطلاســـم" و"الحكايـــة الأزلية" و"الفقر" وغيرها من دواوينه الخمسة التي تزخرت بالإبداع والروعة وقصيدته "الحكاية الأزلية" التي امتلأت بالصور العميقة والإحساس والخـــيال البارع، وكل صورة منها تألفت من مجموعة من الصور الشعرية الزاهية... فيقول أبو ماضي في قصيدته "المساء"[3]

السحب تركض في الفضاء الرحب ركض الخائفين

---

[1] نفس المصدر، ص١٢٠

[2] نقلا عن: نفس المصدر، ص١٢٥

[3] عبد الغني حسن: الشعر العربي في المهجر، ص١٢٦

والشمس تبـــدو خلفها صفـــراء عـــاصبة الجبين

والبحـــر ســـاج صـــامت فيه خشوع الزاهدين

لكنمـــا عيناك بـــاهتتان فـــي الأفـــق البعيـــد

ســـلمى! بماذا تـــفكرين؟

ســـلمى! بماذا تحـــلمين؟

ونجـــد الصور الحية في قصيدة "النعامى" لنسيب عريضة وسائر قصائده الحيرة الـــتي صـــوّرت حنينه إلى المجهول وكذلك نجد الوصف في قصيدته بعنوان "المهاجر" لرشيد أيوب[1] وعدد كبير من قصائد الريحاني في الشعر المنثورة في ديوانه "الريحانيات" وقصيدة "الحب" لندرة حدّاد.[2]

خلاصة القول، إن ميزة النـــزعة الإنسانية والتأمل الفكري كانتا من أبرز مـــا يميز بها أدب المهجر في الشمال. وبالإضافة إلى هذه يتميّز أدب المهجر بصفة عامـــة هـــي الـــتجديد الطامح إلى الكمال، وبخصائص قوة بارزة في شكله وفي مضـــمونه كمـــا يتميز أدب المهجر بالتحرر الكامل في الصورة والشكل من قيود القدامـــى ومن قيود الأوزان والقافية وقواعد اللغة الثابتة إلى بناء التجديد ونزعة الـــتجديد أي انـــتقل مـــن الأتباع إلى الإبداع والإبتكار ومن عبودية التقليد إلى

---

[1] رشيد أيوب (١٨٧١-١٩٤١): هو وُلد في بسكنتا، بلبنان، سنة ١٨٨١. رحل إلى باريس عام ١٨٨٩ وأقـــام فـــيها نحواً من ثلاث سنوات ثم غادرها إلى ما نشستر ومنها هاجر إلى أمريكا حيث أقام في ولاية لويـــزيانا ثم نـــيويورك وفـــيها انضـــم إلى زملائه وعمل معهم في تأسيس الرابطة القلمية. أصدر دواوينه "الأيوبيات" (١٩١٦) و"أغاني الدرويش". "هي الدنيا".

[2] هـــو وُلد في حمس بسوريا سنة ١٨٨١م و لم يتخط في دراسته الابتدائية. هاجر إلى أمريكا عام ١٨٩٧ حيث عمل في التجارة والصحافة شأن أكثر أدباء المهجر. ثم أصبح عضواً عاملاً في الرابطة القلمية. وأصدر ديوانه الفريد "أوراق الخريف" عام ١٩٤١. وتوفي في أمريكا عام ١٩٥٠.

الاســـتقلال بالشخصية الأدبية كما انطلق النثر من المدلولات الكلمات وكذلك انطلق الشعر إلى أصوات متنوعة وأوزان قصيرة مجزوءة وموشحات تتبارى بالفن. فالموشحات خلّفها لنا الأندلسون. وشعراء المهجر الشمالي تأملوا في الذات نفسهم وفي الكائـــنات. فهـــم اشتغلوا بما انطوى في أعماق النفس من المخبآت والودائع وانشغلوا بمشاكل الوجود وقضايا الفناء والخلود. وهذا الاتجاه نحو الحياة الروحية والمواضيع المجردة هو أروع ما سجّله تاريخ الأدب العربي الحديث من تجديد.

٣- تأثير أدب المهجر في العالم العربي والمهجر الجنوبي

وكـــان تأسيس الرابطة القلمية حدًّا فاصلا بين عهد قديم وعهد جديد فالعهد القديم بقي فيه الأدب العربي عامة والشعر العربي خاصة عملا آليًّا ليس فيه روح وكل هنالك تقليد ومسايرة للقديم في المعاني والموضوعات والأساليب على السواء. فالعهد الجديـــد فكـــت فيه الأغلال وكسرت القيود في الأوزان والقوافي وخرج فيه الأدب العربي إلى عهد من الحرية والتجديد.[١]

ويجدر بالذكر هنا أن أذهان أبناء الشرق العربي كانت قد بدأت تكشف نحو الـــتجديد والحرية ولو بصورة أولية عندما دخلت التأثيرات الأجنبية ومبادئ التجديد الـــتي توجـــد في بعـــض قصائد أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وخليل مطران، الشاعر الرومانتيكي في مصر وعلى أيدي أحمد فارس الشدياق ومارون نقّاش ونجيب الحداد وفـــرح أنطون وغيرهم من روّاد النهضة الأدبية الحديثة. ولما وصلت مجموعة الرابطة القلمية إلى العالم العربي ولاسيما مصر أثرت الأدباء والشعراء تأثيراً بالغا وأخذ الأدباء والمـــتأدبون يقرأونها كما أخذ أصحاب الصحف والمجلات ينقلون بعض موضوعاتها خاصـــة من كتابات جبران وميخائيل نعيمة وإيليا أبي ماضي.[٢] وكذلك أصدرت دار الهـــلال كـــتاب "العواصف" لجبران في طبعة أنيقة ثم طبعت لـــه مجموعته المختارة "الـــبدائع والطـــرائف" (١٩٢٣) وصدرت لـــه في مصر أيضاً ديوانه المعروف باسم

---

[١] د. نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص ٩٥

[٢] نفس المصدر، ص٩٦

"المواكب" (١٩٢٥)[1]

وكذلك اهتم بعض أدباء العرب في مصر بجمع بعض القطع الشعرية والنثرية من أدب المهجر كما فعله الأستاذ محي الدين رضا حين أصدر مجموعته بعنوان "بلاغة العرب في القرن العشرين" سنة ١٩١٩، بمقدمة أنيقة[2]. وهي مختارات بأقلام رُسل البلاغة العربية في أمريكا الشمالية والجنوبية. وما إن صدرت هذه المجموعة حتى نفذت من السوق بأقصى سرعة وتتابعت على ناشرها كلمات الشكر والتأييد من أشهر أدباء الأقطار العربية كعباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني والآنسة مي زيادة، المشاعرة المصرية، وغيرهم. فكان هذا مشجّعا له على إعادة طبع المجموعة في عام ١٩٢٤.[3]

وفي سنة ١٩٢٤ وأيضاً صدرت مجموعة أخرى من شعر المهجر ونثره في كتاب بعنوان "ما وراء البحار" أو "النبوغ العربي في العالم الجديد" وجمع الأستاذ توفيق الرافعي هذه المجموعة وأشرف عليها. وكذلك جمع الأستاذ توفيق الرافعي سنة ١٩٢٢م في تكريم الفيلسوف المهجري أمين الريحاني من خطبه وقصائده في كتاب باسم "أمين الريحاني: ناشر فلسفة الشرق في بلاد الغرب".[4]

وفي عام ١٩٢٣ أصدرت دار المعارف بمصر "الغربال" لميخائيل نعيمة. كان لهذا الكتاب أثر كبير في صدور الأدباء والنقاد الشرقيين فكتب العباس محمود العقاد، الناقد المصري، مقدمة الكتاب حبّذ فيها ما يدعو إليه المؤلف من روح تجديدية صادقة

---

[1] J. Brugman, "An Introduction to the History of Modern Arabic Literature in Egypt", p. 108

[2] "المجلة المصرية" العدد ٦٥، يونيو السنة ١٩٢٤، ص٩٧

[3] نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص ٩٦

[4] J. Brugman, "An Introduction to the History of Modern Arabic Literature in Egypt", p. 109

وبعـــد عـــن التقلـــيد... ولا عجب فعباس محمود العقاد كان من الداعين إلى هذه الـــنـــزعة الجديدة ومن المفكرين فيها ومن الناعين على أمير الشعراء أحمد شوقي بك تشبه بالقديم. وهو خير مثال لأثر أدب المهجر في مصر.

ولما وصل تأثير كتابات أعضاء الرابطة القلمية في الشرق العربي إلى حدٍ كبير أوجد لها بينهم مؤيدين ومقلدين كثيرين. وبدأ أدباء الشباب في العالم العربي يأخذون أســـلوب جبران أو طريقة الكتابة لجبران التي أطلق النقاد عليها "البلاغة الجبرانية" أو "الأســـلوب الجبراني" وتلك الطريقة تتميّز بالتشبيهات الخيالية الرقيقة والألفاظ ذات الجرس الموسيقى الحنون. وممّن تبع هذه الطريقة من أدباء مصر الأول السيد مصطفى لطفـــى المنفلوطى (١٨٧٦-١٩٢٤)[١] والانسة مي زيادة (١٨٨٦-١٩٤١)[٢] وتوفيق الرافعي وغيرهم. كما تبعها أيضاً أعضاء "مدرسة أبو لو"[٣] ومؤيدوها.[٤]

وفي غـــير مصر ولبنان من الأقطار العربية، وجد لأدب المهجر أنصار كثيرون ففي تونس شغُف أبو القاسم الشابي[٥] (١٩٠٦-١٩٣٤) بأدب المهجر وتأثر بأسلوب

---

[١] هو من مشاهير الكتّاب بمصر في عصره. درس في جامعة الأزهر وتتلمذ لمحمد عبده. كانت لـــه مجموعتين "النظرات" و"العبرات".

[٢] هـــي أديبة لبنانية عاشت في مصر وامتازت بثقافة عربية. وساهمت في النهضة الأدبية وكانت دارها ندوة للأدبـــاء يعقـــدون فـــيها مجلســـاً أسبوعيا. ومن آثارها الأدبية: "باحثة البادية" و"سوانح فتاة" و"كلمات واشارات".

[٣] هي مدرسة شعرية التي أسسّها الدكتور أحمد زكي أبو شادى في الاسكندرية في سبتمبر سنة ١٩٣٢م قبل هجـــرته إلى أمريكا وأسند رياستها أحمد شوقي وبعد موته إلى خليل مطران وتولى أبو شادى أمانة سرها. وظلت هذه المدرسة تنفخ الشعر الحر وتدافع عنه مدة من الزمن.

[٤] جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص٩٧

[٥] هو شاعر تونسى. ولد في الشبية ضواحي توزر سنة ١٩٠٦. تأثر بالاتجاهات التجديدية في الشعر. مات شابا عام ١٩٣٤م وهو في عطائه لـــه "أغانى الحياة".

جـــبران خاصـــة. فكانت النـــزعة الجبرانية واضحة في تعابيره وخياله.[1] وكذلك في الحجـــاز وُجدت طائفة من الشعراء جنحت إلى شعر المهجر فتأثرت بأسلوب جبران وميخائيل نعيمة وعريضة وغيرهم. كما نجد عند بعض الثائرين الحجازيين روحاً من نثر المهجر الذي أطلق عليه الدكتور محمد مندور اسم "النثر المهموس"[2]

ولكـــن ليس معنى هذا أن أدب المهجر لم يجد لـــه معارضا لا في العالم العربي ولا في العـــالم الغربي بل على العكس، وككل نزعة تجديدية أو فكرة مستحدثة كان للأدب المهجري الذي نتحدث عنه هنا نصيب من المعارضة في الشرق العربي وذلك حـــين نقـــم أنصـــار المحافظة والتقليد على هذا الشعر الذي لا يريد البحور المعروفة والأوزان المطروقة ليس غير وعلى هذا النثر الذي قد بدأ يشق طريقا جديداً ما سلكه آبـــاء وأجـــداد لهم من قبل. وقد عارض النقاد في أدب المهجر لعدم اهتمام أصحابه أحيانا باللغة وقواعدها والصرف ومشتقاته والعروض وما عرف فيه من أوزان وبحور. وكـــان مـــن المعارضين والنقاد لأدب المهجر في مصر الدكتور محمد حسين هيكل وابراهـــيم عـــبد القـــادر المازني ومحمد مندور والدكتور طه حسين وغيرهم. ونقد الدكـــتور طـــه حسين ديوان "الجداول" لأبي ماضي نقداً شديداً في كتابه "حديث الأربعاء"[3]

وفي أمـــريكا نفســـها لم تعدم حركة الشعر التجديدي التي قامت بها الرابطة القلمية معادين، وخصوصاً ظهروا في الميدان، ومنهم الشعراء والمتشاعرون في أمريكا الشمالية ومنهم الشعراء الكبار أحيانا في أمريكا الجنوبية فكان منهم: الشاعر القروي

---

[1] مجلة "الأديب" السنة الرابعة العدد الأول ص٤٩

[2] مجلة "الأديب" السنة الثالثة العدد ١٢، ص٤٢

[3] الدكتور طه حسين: حديث الأربعاء، ج٣، ص١٨٩

وشـــكر الله الجـــر وإلـــياس فرحات[1] وغيرهم كثيرون ممن أسسّوا فيما بعد "العصبة الأندلســـية" عام ١٩٣٢ في البرازيل. ويجدر بالذكر هنا أن شعر المهجر الجنوبي نجده أقـــل تحرراً شعر الشماليين وأكثر تعلّقا بالعصر الماضي وبالشعراء القدامى في الشرق العربي.[2]

ونـــريد أن نختـــتم هذا البحث هنا بذكر قول ميخائيل نعيمة عن أثر الروح المعارضة أو النقد لأدب الرابطة القلمية فيقول:

> فمـــا كانـــت نقمـــتهم الا لتزيدها قوة وحماسة واندفاعاً ولتنمّى عدد أنصارها ومريديها ومقلديها والمعجبين بها في كل قطر عربي، حتى حار في أمـــرها أصحابها وأعداؤها على السواء، فما عادوا يعرفون الي ماذا يعـــزون سرّ قوتها وبُعْد تأثيرها. فمن قائل إن السر في الأدب الأمريكي الـــذي تأثر به عمّال الرابطة القلمية، وهو قول فارغ. ومن قائل إنه في جـــو الحـــرية الأمريكية وهو قول أفرغ. ومن قائل إنه في تمتك عمال الـــرابطة مـــن حيث اللغة العربية وأصولها، وهو قول أفرغ وأعقم من القولـــين الأولـــين. أما الحقيقة فلا يعلمها إلا الذي جمع عمال الرابطة القلمـــية في فســـحة محدودة من ديار عزبتهم، ونحة معلومة من زمان هجـــرتهم، ووضع في صدر كل جذْوة تختلف عن أختها حرارة وبهاء، ولكنها من موقد واحد وإياها.[3]

---

[1] هو شاعر لبناني من شعراء المهجر الجنوبي ومن أعضاء "العصبة الأندلسية" وُلد في كفرشيما سنة ١٨٩٣م. وهاجر إلى البرازيل عام ١٩١٠ وفيها توفى سنة ١٩٧٦م. ونظم الزجل أولا ثم نظم الشعر بالفصحى ومن آثاره "رباعيات فرحات" و"ديوان فرحات".

[2] نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص ٩٨

[3] ميخائيل نعيمة: جبران خليل جبران، ص١٨٢